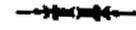


الفروق السيكولوجية

بين الأجناس البشرية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد



قد لا يكون من الحكمة أن نتعجل بحث الفروق السيكولوجية بين الأجناس البشرية من قبل أن نعرف: ما هو المقصود بالجنس؟ وما هي أنواع الأجناس المختلفة التي يدور البحث حولها؟

والموضوع من التعميد بمكان، فقد شغل فقهاء اللغة، وعلماء الأجناس Ethnologists، وعلماء الاجتماع والسياسة، ولا يزال يشغلهم حتى الآن، ولم يوقفوا بعد إلى رأي نهائي. وكل ما وصلوا إليه إنما هو حدس وفرض. وسبب ذلك أن موضوع الأجناس البشرية يبحث في القديم من التاريخ وفيما قبل التاريخ.

وليس نعمة من الوثائق التاريخية أو الأثرية ما يكفي لتحقيق فرض أو إثبات نظرية، كما يبحث أيضاً في الأجناس الحاضرة. وما قام به العلماء من محاولات لكشف ما عسى أن يكون من صفات جسمية وعقلية وخلقية مشتركة تميز طائفة من البشر عن غيرها لم يؤد بعد إلى حكم جازم بأن هذه الطائفة - مثلاً - متميزة كل التميز عن تلك. وذلك لما حدث في الماضي من هجر بعض الشعوب مواطنها الأولى واستقرارها في مواطن أخرى وامتزاجها بسكان هذه المواطن الأصليين بالتزاوج والتناسل، حتى أصبح من المسير عدياً أن يقال إن هذه الطائفة من الناس تقيية الجنس لم تختلط بشيرها. وهذا ما جعل تعريف الجنس نظرياً فقط لا واقعياً. وهم يقولون إن الجنس من الأجناس البشرية هو جماعة كبيرة من الناس تنتمي إلى أصل واحد قديم، وتتميز بخواص جسمية وعقلية وخلقية مشتركة تميزاً وراثياً

والتأمل في هذا التعريف لا يستطيع أن يجزم بالحد الذي تكون به الجماعة «كبيرة» بحيث تكون الجنس. فجماعة سكان أستراليا الأصليين مثلاً لا تعتبر كبيرة إذا قارناها بالترك، مع أن علماء الطبائع البشرية Anthropologists يتسربون للسكان الأصليين لأستراليا جنساً مستقلاً، بينما للترك فرع من الجنس

المنقول. وعلماء النفس لا يقرون - كما سنرى - للقول بوجود تلازم بين الخواص الجسمية والعقلية أو الخلقية. فإن وجود أنواع من الأجناس البشرية، تتميز بصفات جسمية خاصة، لا يدل مطلقاً على وجود تميز عقلي أو خلقى لهذه الأجناس، لأن ذكاء المرء أو خلقه لا يمكن أن يحكم عليه عادة بشكل جسمه، ولأننا إذا سلطنا بوجود اختلاف بين الأجناس في العقل والخلق كنتيجة ملازمة لاختلافها في الشكل والنظر، كان معنى هذا أن الأفراد يختلفون بالضرورة عقلاً (أعني ذكاء) وخلقاً باختلاف مناظرهم وأشكالهم. وقد أثبتنا في المقالات السابقة أنه لا توجد علاقة تلازمية بين الخواص الجسمية وبين الذكاء، ولا بينها وبين الخلق

ولقد كان الرأي السائد حتى منتصف القرن الماضي أن الأسرة البشرية إنما تنقسم إلى ثلاثة أجناس: ساي وحاي، وياثي. وهذه هي نظرية للتوراة المذكورة في قصة نوح، فإنه لما استوت فلكه على الجودي كان معه من أبنائه الناجين سام وحام وياث «وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحام وياث. وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض»^(١). ولقد شك كثير من العلماء في صحة رواية التوراة، وأيدوا شكهم هذا بحجج منها أن للتوراة تجعل الكنعانيين من الحاميين مع أنهم أقارب الإسرائيليين وتربطهم بهم روابط عنصرية ودموية ولغوية وثيقة^(٢). كما تأثر فقهاء اللغات بهذه النظرية فقسموا لغات البشر إلى ثلاث طوائف: السامية والحامية واليانية. ولكن العلماء الآن لا يرون ضرورة وجود علاقة بين اللغة والجنس. فالعرب - كما يقول الأستاذ مرجليوث - ليسوا ساميين لجرد أن العربية هي إحدى اللغات السامية، فقد يشترك في تكلم اللغة الواحدة أكثر من جنس واحد^(٣). وإلى هذا يشير للكاتب الإنجليزي للمالي ه. ج. ويلز بقوله: «وقد حدث أن خلط فقهاء اللغة بين اللغات والأجناس فافترضوا أن الأقوام الذين يتكلمون لغة واحدة مشتركة لا بد

(١) الاصحاح التاسع، الآيات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من سفر التكوين.

(٢) راجع كتاب Sprachwissenschaft للأستاذ Brocklemann

(٣) انظر كتاب The Relation between Arabs and Israelites prior of the rise of Islam.

يقسموا الأمرة البشرية الحالية إلى جماعات جنسية وفقاً لصفاتهم الجسمية للظاهرة : كشكل الجمجمة ، وتقاطيع الوجه ، ولون البشرة ، ولون الشعر ولون للعيون . وعلى أساس هذه الصفات الجسمية تنقسم الأمرة البشرية إلى ما يأتي :

الجنس القوقازي : وهو يشمل سكان أوروبا والبحر الأبيض وغربي آسيا ، وهو جنس أبيض . وهذا الجنس ينقسم إلى جنسين أو ثلاثة أجناس^(١) : الجنس الشمالي ، ويمتاز بالشعر الأسفر وبياض البشرة بحمرة وطول الجمجمة^(٢) . و جنس البحر الأبيض المتوسط ، ويمتاز بالشعر الأسود والبشرة البيضاء بسمرة والجمجمة المدورة ، وبين هذين الجنسين جنس ثالث هو الجنس الآلي Alpine race وهو وسط بين الجنسين^(٣) . ومن الجنس القوقازي بعض السكان الأصليين لهند وإيران وما بينهما . شكل (١) ، (٢) ، (٣)

الجنس القوقازي



شكل (١) بربري من شمال أفريقيا
شكل (٢) يمثل سكان العمال
شكل (٣) يمثل يهوديا من الجزائر

الجنس المنغولي : ويمتاز بصفرة للبشرة وسواد للشعر واستقامته ، وارتفاع عظام الخد ، وتوسط للقامة . ويشمل سكان آسيا الوسطى والشرقية ، والأمريكانيين الأصليين (الهنود الحمر) ، و جنساً يسمى الكالوك كان يمكن هضبة للتبت حتى للقرن السابع عشر الميلادي حين ارتحل إلى شواطئ الفلجا . وقد اختلط الجنس المنغولي بالجنس القوقازي في أواسط آسيا وشرقها . شكل (٤) ، (٥) ، (٦)

(١) الجنس في علم المنطق قد يكون هيداً وقد يكون نوريا ، فالجنس القوقازي مثلاً جنس بيده ، بينما الأجناس الأخرى التي ينقسم إليها أجناس قريبة (٢) إذا نظرنا إلى الجمجمة من أعلى فإن طولها هو امتدادها من الأمام إلى الخلف ومرئها بين الجانبين ، فإذا كان مرئها $\frac{1}{2}$ الطول أو أكثر فهي مدورة ، وإن كان الرض أقل من $\frac{1}{2}$ الطول فهي مستطيلة (٣) يرى بعض العلماء تقسيم الجنس القوقازي إلى جنسين فقط : الجنس الشمالي و جنس البحر المتوسط

أن يكونوا من جنس واحد مشترك، وهذه ليست الحقيقة . ومن السهل على القارى أن يعرف هذا إذا عرف أن زواج أمريكا يتكلمون الآن الإنجليزية ، وأن الإيرلنديين - إذا استثنينا استمالمهم للغة الإيرلندية القديمة لأسباب سياسية - يتكلمون الإنجليزية أيضاً كما يتكلمها سكان ويلز ببرطانيا بعد ما فقدوا لغتهم الكلتية القديمة . وكل ما ندل عليه اللغة المشتركة بين الأجناس المتباينة هو حدوث اختلاط اجتماعي في الماضي بين متكلميها مختلفي الأجناس ، واشتراكهم في مستقبل واحد ، ولا تدل على أصل مشترك واحد^(١)

لم يتفق علماء للطبائع البشرية على الخصائص التي تميز جنساً من الأجناس البشرية من جنس آخر ، ولكنهم متفقون على أنه قد وجد في المصور القديمة جداً أجناس بشرية أولية متميزة ، وقد انتشرت هذه الأجناس في الأرض وارتحلت من مكان إلى مكان ، ومن مناخ إلى مناخ ، ومن بيئة إلى بيئة ، فخصمت لاختلاف البيئة الجديدة ، وتأثرت بما فيها من رخاء وشدة ، ومن طعام وماوى مناير ، فتكيفت الأجسام والمقول تكيفاً يناسب البيئة الجديدة . وتطور هذا التكيف خاضعاً لقانون التنازع الدائم بين الإنسان وبين الطبيعة : يريد أن يخضعها ويريد أن يخضعه . فجدت أقوام تحالف أجناسها الأصلية ، وامتزجت هذه الأقوام بغيرها من أقوام ذوى جنسيات أخرى . وهكذا استمرت الأمرة البشرية في تغير وتطور حتى صارت إلى ما هي عليه الآن . فلم تبق إذا تلك الأجناس البشرية الأولية محافظة على وحدتها وكيانها ، ولكن جماعات أخرى جديدة تأثرت بموامل البيئة المنقرمة وتميزت عن غيرها ، وإن كانت هذه الجماعات الجديدة لم تحتفظ بدمها الجنسي الأصيل . من أجل ذلك نجد اختلاطاً كبيراً في صفات الأجناس البشرية الحالية ، فسكان استراليا الأصليون سود البشرة بينما شعرم مستقيم ، وتقاطيع وجهم تشبه تقاطيع وجوه الأوربيين . وكذلك نجد بين سكان الأقاليم الشمالية Nordic races من له شعر أسود ، وبشرة ورقاء ، وبين سكان أقاليم البحر الأبيض المتوسط بيض البشرة وسمرها

وبالرغم من هذا كله فقد حاول علماء للطبائع البشرية أن

(١) راجع كتاب The Outline of History, H. G. Wells

صحراء الجزيرة العربية البدو كانت لهم حضارة هيلولوتية (١) ،
هذا وتقسيم الأجناس الذي ذكرناه إنما هو رأى طائفة
من العلماء . والحقيقة أن هذه الأجناس قد اختلط بعضها ببعض
للدرجة يصعب معها أن نجد جميع مميزات كل جنس باقية من غير
تغيير . بل إن بين بعض أفراد الجنس الواحد من للفروق الجسمية
ما هو أكثر من الفروق بين فردين من جنسين مختلفين .

وسنعالج موضوع الفروق العقلية بين الأجناس في مقال قادم
(بخت الرضا - السودان) هيب العزير هيب الهيب

(١) صفحة ١٤٠ من كتاب The Outline of History, H. G. Wells

صدر حديثاً كتاب :

بين الأجناس العرقية
قصائد وأقاصيص
لأسماء الشعر والنثر
لأصرتين وهو تيمور وشانوبهانه ديمى ديمى موباساه
بقلم
احمد حسن الزيات

يقع في زهاء ٣٠٠ صفحة
وثمنه ١٥ قرشا ، ويطلب
من إدارة الرسالة ومن
جميع المكتبات الشهيرة .

الجنس النغول



شكل (٤) يتل الهندو الجمر
شكل (٥) امرأة صينية كالوك من سكان الصين الشمالية
شكل (٦)

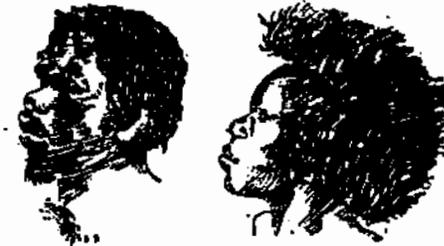
الجنس الزنجي : ويمتاز بسواد البشرة ، وتفلطح الأنف ،
وتخني للفتين ، وتجمد الشعر . ويكون هذا الجنس سكان
إفريقيا الأصليين . وقد تأثر هذا الجنس بما جاوره من الأجناس
الأخرى . شكل (٧) ، (٨) ، (٩)
أشكال زنجية



شكل (٧) شكل (٨) شكل (٩)

الجنس الاسترالي الأصلي : ويمتاز بسواد البشرة ، وقد تكون
حواء ، وبسواد الشعر واستقامته وكثافته ، وبطول الجمجمة ،
وتفلطح الجبهة وإمحدارها إلى الخلف . ويشمل سكان استراليا
قبل كشفها ، وسكان جنوب الهند وسيلان وشبه جزيرة الملايو
شكل (١٠) ، (١١)

الجنس الاسترالي الأصلي



شكل (١٠) شكل (١١)

ويذهب بعض علماء الطبائع البشرية إلى القول بوجود جنس
آخر أقدم من الأجناس السابقة كان موطنه منطقة البحر الأبيض
المتوسط الأفريقية ، وامتد شرقاً إلى الهند فالحيط الهادي ، ثم
يمبره إلى المكسيك ويورو . ويمتاز بالبشرة البرتزية وهو صاحب
أقدم الحضارات المسماة بالحضارات الهيلولوتية Heliolithie ولعل
الحضارات الأولى التي ظهرت في وادي النيل والقرات ودجلة
كانت على صلة بتلك الحضارة الهيلولوتية ... ويظهر أن سكان